أدعية موسى عليه السلام في رحلته إلى مدين

د/ فهد بن حمد بن داهس البيضاني الحربي (*)

الملخص:

تناول البحث الأدعية الثمانية التي دعا بها موسى عليه السلام في رحلته إلى مدين، وتكوَّن البحث من تمهيد عن مدين ومكانها الجغرافي، ثم ثلاثة مباحث عن أحداث الرحلة، والأدعية التي دعا بها موسى عليه السلام في أثناء الرحلة، والمعالم المستنبطة من تلك الأدعية.

يهدف البحث لاستخراج ما في تلك الأدعية من معالم وهدايات، والتركيز على ما فيها من آدابٍ للدعاء.

كان من أهم نتائج البحث استنباط ثلاثة معالم من أدعية موسى عليه السلام، وهي: كرم الله وقربه لأوليائه، ومكانة موسى عليه السلام والصفات الست التي أهلته لتلك المكانة، وخمس آداب من آداب الدعاء.

وأوصى الباحث في الختام بإجراء مزيد من الدراسات عن بقية أدعية موسى عليه السلام، وكذلك العناية بقصص الأنبياء واستخراج ما فيها من دروس وعبر.

الكلمات المفتاحية: (الدعاء، موسى، مدين).

(*) أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بقسم القرآن وعلومه في كلية الشريعة بجامعة القصيم.
FH.Alharby@qu.edu.sa

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أما بعد:

فلقد اصطفى الله عز وجل أنبياءه الكرام صلوات الله وسلامه عليهم، وجعلهم هداة للمهتدين، وقدوة للعالمين، وقص علينا في القرآن الكريم قصصهم وأخبارهم، فكان أكثر الأنبياء ذكرا هو النبي الكريم موسى عليه السلام.

ومما لفت نظري في قصص موسى عليه السلام رحلته إلى مدين، وما صاحبها من أدعية جامعة، وهي رحلة عجيبة فيها دروس وعبر جمة، والحديث عنها يطول ويتشعب، لكنني رأيت أن أقتصر في بحثي على الأدعية التي دعا بها موسى عليه السلام في هذه الرحلة، وهي ثمانية أدعية، تميزت بتنوعها، وأنها قيلت في أحوال مختلفة، فأحببت أن أدرسها، وأن أحاول استنباط هداياتها، وما فيها من معالم وإرشادات، فكان هذا البحث بعنوان "**أدعية موسى عليه السلام في رحلته إلى مدين، دراسة استنباطية**". وعسى ربي أن يهديني سواء السبيل.

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية الموضوع من كونه يبحث في آيات مباركة من كتاب الله عز وجل، ويعالج موضوعا مهما يحتاجه المسلم دائما، وهو الدعاء، الذي نحتاج أن نقتدي فيه بالأنبياء الكرام، ونستفيد من هديهم وأدبهم فيه.

أسباب الاختيار:

١- تعلقه بقصة نبي كريم أمرنا الله بالاقتداء به وبإخوانه من الأنبياء الكرام.
٢- رغبتي في الإسهام في مجال الدراسات القرآنية المتعلقة بأشرف كتاب.
٣- حاجة المسلم لنماذج في الدعاء يهتدي بها.
٤- عدم وجود دراسة مستقلة تُعنى بتلك الأدعية.

أهداف البحث:

١- دراسة أدعية موسى عليه السلام في رحلته إلى مدين.

٢- استخراج ما فيها من هدايات ومعالم.

حدود البحث:

يقتصر البحث على الآيات التي تتحدث عن قصة موسى عليه السلام في رحلته إلى مدين، ويركز فيها على الآيات التي اشتملت على الأدعية الثمانية التي دعا بها خلال تلك الرحلة.

الدراسات السابقة:

لم أقف على مَن خصَّ هذه الأدعية بدراسة مستقلة، بينما وقفت على ثلاثة بحوث عن الدعاء في القرآن عموما، أو أدعية الأنبياء عليهم السلام في القرآن، وهي:

١- آيات الدعاء في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، للباحث سالم عبود مبارك غانم، وهي رسالة دكتوراه بجامعة أم درمان، وتقع في ٤٥٠ صفحة.

٢- دعاء الأنبياء في القرآن الكريم، للباحثة وداد طاهر محمد نصر، وهي رسالة ماجستير بجامعة النجاح الوطنية، وتقع في ٢٦٥ صفحة.

٣- دعاء الأنبياء في القرآن الكريم دراسة بلاغية تحليلية، لعبدالرحمن بن رجاء الله السلمي، وهو بحث في ٩٥ صفحة.

وجميعها لم تتعمق في دراسة هذه الأدعية الثمانية، بينما في بحثي هذا خصصت كل دعاء بالبحث، ثم استخرجت ما تضمنته هذه الأدعية من هدايات وعبر، وركَّزت على ما تكرر فيها من معالم.

خطة البحث:

انتظم هذا البحث في **مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة**، في النحو الآتي:

المقدمة: وفيها: " أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وحدوده، والدراسات السابقة".

التمهيد: مدين في القرآن الكريم.

المبحث الأول: أحداث الرحلة.

المبحث الثاني: أدعية موسى عليه السلام في رحلته إلى مدين.

المبحث الثالث: معالم من أدعية موسى عليه السلام.

الخاتمة، وفيها النتائج والتوصيات.

ثبت **المصادر والمراجع.**

وأسأل الله الهداية والسداد والعون والرشاد.

التمهيد

مَدْيَن في القرآن الكريم

ورد ذكر "مَدْيَن" في القرآن الكريم في عشرة مواضع، ثلاثة منها في سياق الحديث عن موسى عليه السلام ورحلته إليها، والمواضع الباقية في قصة شعيب عليه والسلام وقومه.

و**(مَدْيَن)**: بلدة أو منطقة قديمة، تقع بين تبوك والبحر، سميت باسم مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وبُعث إلى أهلها شعيب عليه السلام، وإليها رحل موسى عليه السلام[١]، وكانت تعرف بهذا الاسم حتى وقت البعثة النبوية؛ قال ابن هشام: "وسرية زيد بن حارثة إلى مدين"[٢]، ويبدو أنها منطقة واسعة، فلا نستطيع الجزم بالجهة التي وصل إليها موسى عليه السلام؛ قال محمد حسن شراب: "ويظهر أنها كانت ممتدة في أصقاع واسعة، قد تصل إلى مَعَان في شرقي الأردن، وإلى بئر السبع في جنوب فلسطين"[٣].

أما اليوم فتعرف بـ**(البَدْع)**، وهي إحدى محافظات منطقة تبوك، في الشمال الغربي من المملكة العربية السعودية، وعاصمتها الإدارية مدينة البَدْع، وتقع غرب تبوك، وشرق ساحل خليج العقبة، بينها وبين تبوك ١٣٥كم، وبينها وبين الساحل ٢٥كم، ويقال عن سبب تسميتها: إن هذه الأرض قد دُثِرَت، ثم بُدعت فيها آبار ومزارع، فسميت بذلك[٤].

---

(١) انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٧٧/٥، وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص٢٦١.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٦٣٥/٢.

(٣) المعالم الأثيرة في السنة والسيرة لمحمد شراب ص٢٤٣.

(٤) انظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية للبلادي ص٢٨٤، والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة لمحمد شراب ص٢٤٣، وغزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية للعمري ص٩٩.

المبحث الأول

أحداث الرحلة

رحلة موسى عليه السلام إلى مدين إحدى رحلات الأنبياء العظيمة، التي صاحبتها أحداث ومواقف فيها من العظات والعبر شيء كثير، رحلةٌ عجيبة جليلة، تبدأ أحداثها بخروج موسى عليه السلام من مصر خائفا يترقب، وتنتهي بعد عقد من الزمن، برجوع موسى عليه السلام إلى مصر رسولا مؤيَّدا بالمعجزات.

وقد جاءت أغلب أحداث هذه الرحلة مفصَّلة في موضع واحد من القرآن الكريم في سورة القصص، بداية من الآية (١٤) حتى الآية (٣٥)، بينما تكرر ذكر الحدث الأخير من أحداث هذه الرحلة وتكليف موسى عليه السلام بالنبوة في سور طه والشعراء والنمل.

وسأعتني – بعون الله – من هذه الآيات بما يتعلق بأدعية موسى عليه السلام، والتي بلغ عددها ثمانية أدعية مباركة، وهي المقصودة في هذا البحث، بيد أني سأحتاج للحديث عن بقية الأحداث بما يكفي لتوضيح مراحل الرحلة، والظروف التي قيلت فيها تلك الأدعية، وذلك سيعيننا أكثر على فهم تلك الأدعية واستخراج الهدايات والدروس منها.

وفي هذا المبحث سأعرض أحداث الرحلة الميمونة بشيء من الاختصار، وسأفرد كل مرحلة أو حدث بعنوان مستقل، وذلك في النحو الآتي:

سبب الرحلة:

سبب هذه الرحلة هو خوف موسى عليه السلام من فرعون وملئه الذين ائتمروا لقتله، بسبب ما وقع منه من قتل أحد الأقباط خطأً، وقصة ذلك القتل بيَّنها الله لنا بقوله تعالى: {وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ

فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ} [القصص:١٥]، هذا سبب الرحلة، مشاجرة بين اثنين تتكرر كثيرا دون أن يكون لها تأثير في التاريخ، لكن الله عز وجل يُقَدِّرُ أنَّ موسى عليه السلام يصل في تلك اللحظة، ويشارك في الحدث الذي ينتهي بقتل القبطي خطأ، فما كان منه عليه السلام إلا أن سارع بالتوبة إلى الله عز وجل؛ فتاب الله عليه، وانتهى الحدث دون ردة فعل سريعة.

صار موسى عليه السلام في خوف من عاقبة ما حدث، وأصبح يترقب تطور الأحداث، ولأن الله عز وجل إذا أراد أمرا قدر أسبابه؛ يتكرر الحدث نفسه أمام موسى عليه السلام، قال الله تعالى: {فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ} [القصص:١٨-١٩]، الحدث هذه المرَّة لم يكن على حين غفلة من أهل المدينة، لذا فقد انكشفت للناس شخصية القاتل، وانتشر خبره، وأحس موسى عليه السلام بالخطر يقترب.

الخروج من مصر:

جاء الناصح إلى موسى عليه السلام مسرعا، يخبره ويؤكد له أن الخطر لم يعد متوقعا، بل صار حقيقة وواقعا، فالقوم يتشاورون لقتله، ثم أرشده إلى التصرف الصحيح العاجل، فنصحه بالخروج، قال الله تعالى: {وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ} [القصص:٢٠].

أخذ موسى عليه السلام بقول الناصح فبادر بالخروج، ودعا دعوته الأولى في هذه الرحلة، قال الله تعالى: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ

ٱلظَّٰلِمِينَ} [القصص:٢١]، ولا زال موسى عليه السلام على الله متوكلا، وإلى ركنه الشديد ملتجئا، لقد خرج هربا من القوم الظالمين، لكنه لا يدري أي طريق يسلك، وإلى أي البلدان يلجأ، فما كان منه إلا أن لجأ للهادي الكريم، وسأله أن يهديه لخير الطرق، ويُقَدِّر له أفضل المقادير، قال الله تعالى: {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ} [القصص: ٢٢]، فهداه الله سبحانه أن يسلك الطريق المؤدي لمدين الواقعة في الشمال الغربي لجزيرة العرب.

الوصول إلى مدين:

وصل موسى عليه السلام إلى مدين، وكان قد عانى في رحلته عنتا وجوعا وشدة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "سار موسى مِن مصر إلى مدين ليس له طعام إلا البَقْل[1] وورق الشجر، وكان حافيا فما وصل مدين حتى سقطت نعل قدمه، وجلس في الظل – وهو صفوة الله من خلقه – وإن بطنه لاصق بظهره من الجوع، وإن خضرة البَقْل لتُرى من داخل جوفه، وإنه لمحتاج إلى شق تمرة"[2].

وكما هي عادة الغريب؛ اتجه لمورد الماء حيث يجتمع الناس غالبا، وهناك تقع أحداث قصته مع الفتاتين، حيث رأى ما يستثير شهامته ونخوته؛ امرأتان ضعيفتان تكفكفان غنمهما أن تَرِدَ مع غنم بقية الرِّعاء؛ لئلا تُؤذَيَا، فرَقَّ لهما وهَبَّ لمساعدتهما رغم ما به من تعب ونصب، قال الله تعالى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ

---

(١) البَقْل: ما ليس بشجر مِن النبات. وفرق ما بين البقل والشجر أن البقل إذا رُعي لم يبق له ساق، والشجر تبقى له سوق وإن دقت. انظر: العين للخليل ١٦٩/٥، وتهذيب اللغة للأزهري ١٤٢/٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٢٧/٦.

فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} [القصص: ٢٣-٢٤]، تولى بعد فراغه من مهمته إلى مكانٍ يستظل فيه، دون أن ينتظر منهما جزاءً ولا شكورا، ومرة أخرى يتجه إلى ربه بكلمات الالتجاء والرجاء، ويبتهل إلى الغني الحميد، ويسأله من فضله وكرمه: {رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}.

في ضيافة الشيخ:

تمتم موسى عليه السلام بتلك الدعوة: {رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}، كلمات معدودة، خرجت من قلب تقي مضطر، فما هو إلا وقت يسير، وإذا بأحداثٍ جديدة تتوالى، قال الله تعالى: {فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ} [القصص: ٢٥]، تلقَّى موسى عليه السلام من ذلك الشيخ[١] كلمات الطمأنينة والأمل، وصار في ضيافته، وكان ذلك خيرا عظيما ساقه الله إلى موسى عليه السلام، لكن الضيف لابد أن يرحل، والضيافة لا ينبغي أن تدوم أكثر من المعتاد، فمتى رحل ذلك الضيف؟

الزواج والعمل:

اقتراح من إحدى الفتاتين يؤجل رحيل الضيف، وخير يكتبه الله لموسى عليه السلام ربما لم يخطر له على بال، بسبب هذا الاقتراح لن تكون حياة موسى عليه

---

(١) جمهور المفسرين على أن هذا الشيخ هو شعيب النبي عليه السلام؟ نسبه لهم ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٨٤/٤، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٢٠٥/٦. وقال آخرون: ليس بشعيب عليه السلام. قال ابن كثير: "مِن المقوي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن يُنص على اسمه في القرآن هاهنا، وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لم يصح إسناده". وقال العثيمين في تفسير سورة النمل ص٤٩: "وليس كذلك، فإن بينه وبين موسى برهة من الزمن، وإنما صاحب مدين رجل من أهل مدين، هذا هو الصحيح بلا شك".

السلام في مدين ضيافةَ أيام معدودة، بل هنا سيكون العمل ومصدر الرزق، ومن بيت ذلك الشيخ سيكون الزواج والاستقرار، فيا لها من أقدار مدهشة، ويالها من أحداث يسيرها الحكيم العليم بلطفه ورحمته، قال الله تعالى: {قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} [القصص: ٢٦-٢٨]، بينما موسى عليه السلام لا يملك شيئا من هذه الدنيا، ولا يدري أين يبيت، وإلى أي وجهة يولي؛ إذا بالعطايا تتوالى والنعم تحل.

في طريق العودة:

بعد عقد من الزمن يشتاق الغريب لأهله، ويحن المسافر للعودة إلى دياره ومراتع صباه، لقد آن أوان عودة الغائب، وقرر موسى عليه السلام أن يعود إلى مصر بعد عشر سنوات قضاها في مدين، لقد وفَّى عليه السلام بما اتفق عليه مع الشيخ، بل قام بالفضل ولم يقتصر على الواجب، يدل على ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن سعيد بن جبير قال: سألني يهودي من أهل الحيرة: أي الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أدري، حتى أقدم على حَبْر العرب فأسأله، فقدمت فسألت ابن عباس فقال: "قضى أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله إذا قال فعل"[1].

وعن أخبار موسى عليه السلام في رحلة عودته يقول الله تعالى: {فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًاۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه ٩٥٣/٢ (ح: ٢٥٣٨) كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد. قال ابن حجر في فتح الباري ٢٩١/٥: "وهو في حكم المرفوع؛ لأن ابن عباس كان لا يعتمد على أهل الكتاب".

نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٢٩ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ٣١ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ} [القصص:٢٩-٣٢]، هكذا جرت الأحداث العجيبة، وفي تلك البقعة المباركة يقع ذلك الحدث الكبير، ويصبح موسى عليه السلام رسولًا كليمًا، ويتحمل العبء الثقيل، وهنا نجد أن الأدعية تتوالى من موسى عليه السلام، لعلمه بعظم المسؤولية، ولإدراكه شدة حاجته لإعانة مولاه الذي لم يزل به رحيما، وإليه قريبا، وسيأتي في المبحث القادم الحديث عن تلك الأدعية والتفصيل فيها.

وبهذا انتهت أحداث تلك الرحلة العظيمة، ورجع موسى عليه السلام إلى مصر مرة أخرى، وبدأت فصولٌ جديدة من حياة ذلك النبي الكريم، وفي المبحث التالي سيقتصر الحديث على الأدعية الثمانية التي دعا بها موسى عليه السلام، منذ خروجه في تلك الرحلة حتى عودته مرة أخرى إلى مصر.

المبحث الثاني

أدعية موسى عليه السلام في رحلته إلى مدين

في هذا المبحث سيكون الحديث عن الأدعية التي ابتهل بها موسى عليه السلام في تلك الرحلة، وقد بلغ عددها ثمانية أدعية، سأفرد لكل دعاء عنوانًا مستقلًّا، ثم أسلط الضوء عليه بما يناسب المقام، بعون الله سبحانه.

الدعاء الأول: طلب النجاة

{رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ} (القَصَص: ٢١)

كان الدعاء هو السلاح الدائم، والملجأ الآمن لموسى عليه السلام، في جميع مراحل رحلته، فبمجرد خروجه على تلك الحال من الخوف والترقب، رفع تلك الدعوة العظيمة: {رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ}، التجأ إلى الله تعالى، فأتت الاستجابة وحصلت النجاة، كان موسى عليه السلام وحيدا، وهؤلاء جماعة بل جماعات، وكان أعزلا، وهؤلاء أهل عدة وعتاد، لكنه استعان بالقوي سبحانه، ولجأ إلى من بيده ملكوت السموات والأرض، فحصلت النجاة التامة، وسكن الخوف، وزال الترقب، وطمأنه ذلك الشيخ الصالح: {لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ} (القَصَص : ٢٥)، قال العثيمين: "ومن عجيب صنع الله أن هذا الكلام جاء مطابقا لسؤال موسى"[1].

وقصة موسى عليه السلام مع النجاة من فرعون وقومه لن تقف هنا، وإنجاء الرحمن له سيتوالى في أحداث قادمة، أعظمها ستكون في ذلك اليوم الذي أحدق فرعون وجنده بموسى عليه السلام وقومه الذين سرى بهم بأمر الله، لكن مع شروق الشمس كان فرعون قد لحق بهم، فخاف قوم موسى وهُم يرون البحر أمامهم والعدو خلفهم، فأيقنوا بالهلاك وصاحوا: {إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ}. (الشُّعَرَاء :٦١) ، أما

(١) تفسير سورة القصص للعثيمين ص١٠٠.

موسى عليه السلام الذي يعرف عادة الله مع أوليائه، فقد نطق بكلمة اليقين والإيمان: {كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ} (الشعراء: ٦٢)، لم يحدد كيفية الهداية والنجاة، بل لم يفكر بذلك ربما، فيكفيه أن معه ربه سبحانه وتعالى، والنتيجة: {فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ} (الشعراء: ٦٣-٦٦).

والدعاء بالنجاة عَلَّمه موسى عليه السلام لمن آمن به ورسَّخه لديهم، فصاروا يدعون الله ويطلبونه النجاة، سواء كانوا أفرادا أو جماعات، فمن دعاء قوم موسى عليه السلام: {وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ} [يونس:٨٦]، فكانت الإجابة: {قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ} [طه:٨٠]، ومِن دعاء إحدى مَن آمنَّ به دعاء امرأة فرعون: {وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ} [التحريم: ١١].

وقَبْل موسى عليه السلام تتابع الأنبياء عليهم السلام على هذا الدعاء، ووجدوا فيه الحماية والأمان، دعا به نوح عليه السلام فقال: {وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} [الشعراء: ١١٨]، ولوط عليه السلام قال: {رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ} [الشعراء: ١٦٩]، وهكذا بقية الأنبياء، كانت دعواتهم تتابع صاعدة، وفي مقابلها كانت الاستجابات تتوالى نازلة، قال الله تعالى: {نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ} [هود: ٥٨]، وقال سبحانه: {نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ} [هود: ٦٦]، وقال عز من قائل: {نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ} [هود: ٩٤]، وقال عن إبراهيم عليه السلام: {وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا} [الأنبياء: ٧١]، ويونس عليه السلام في بطن الحوت قال الله عنه: {وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ} [الأنبياء: ٨٨]، ثم وعد سبحانه كل سائر على طريق الإيمان بالنجاة فقال: {وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} [الأنبياء: ٨٨].

وهكذا المؤمن يلجأ إلى الله في أموره جميعها، ويسأله النجاة من الأعداء، ومن الفتن والشرور، وأهم نجاة ترجى هي النجاة يوم القيامة، فهناك تشتد الحاجة لها، ومن نجا هناك فلا خطر عليه أبد الآباد، قال الله تعالى: {ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} (مَرْيَم : ٧٢).

وعندما ترى إنجاء الله لموسى عليه السلام، وغيره ممن دعا فاستجيب له، تتساءل: ما سبب هذه الاستجابة؟ وما الذي قدموه فأهَّلَهم لها؟ والجواب تجده في صفاتهم المقرونة بأخبار إجابتهم، وأولها الإيمان والتقوى، قال تعالى: {وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} [النَّمْل : ٥٣]، ومن أعظم الأسباب الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي قصة أصحاب السبت قال تعالى: {أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ} [الأعراف: ١٦٥].

وفي المقابل فمن أعظم أسباب عدم النجاة الكفر والتكذيب، قال تعالى: {فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا} [يُونُس : ٧٣]، وكذلك الظلم، قال الله تعالى: {وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ} [هُود : ٩٤]، والإسراف أيضا من أعظم أسباب عدم النجاة، قال الله تعالى: {ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ} [الأَنبِيَاء : ٩].

الدعاء الثاني: طلب الهدى

{عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ} [القَصَص: ٢٢].

هذا ثاني أدعية موسى عليه السلام التي ابتهل بها في هذه الرحلة، قالها وهو في حيرة من أمره؛ لا يهتدي سبيلا ولا يعلم أي وجهة يولي، دعا بهذه الكلمات العظيمة: {عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ}، بدأ دعاءه بـ"عسى" الدالة على

الرجاء والأمل، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ليس له بالطريق علم إلا حسن ظنه بربه"[١]، ثم سأل ربه أن يهديه {سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ} أي: الطريق الأقوم المختصر الموصل إلى مدين بسهولة ورفق[٢]، فكانت الإجابة حاضرة عاجلة، فهداه سبحانه وسلك به طريقا أوصله إلى مدين، ليحدث هناك ما يحدث، وتكون مدين أمانا له ومستقرا ومصدر رزق.

والهداية المذكورة في الدعاء هي الهداية إلى الطريق الحسي، لكنها تذكرنا بطلب الأهم، وهو الهداية للطريق المعنوي، وهو طريق الإيمان والتقوى والصلاح، وقد حثنا ربنا سبحانه على طلبها منه، فقال في الحديث القدسي: **(يا عبادي كلكم ضال إلا من هديتُه، فاستهدوني أَهْدِكم)**[٣]، ولا مانع أن يشمل ذلك الطريق الحسي والمعنوي[٤].

أما موسى عليه السلام فقد عاش بقية حياته يطلب الهداية من ربه، وكما هدى الله موسى عليه السلام في طريقه لمدين في تلك الشدة، هداه لطريق أعجب في شدة أكبر، وذلك عندما رأى قوم موسى عليه السلام أنهم قد أحيط بهم، وأنَّ السبل قد أغلقت أمامهم، لجأ موسى عليه السلام إلى ربه، وطلب الهداية مرة أخرى، وأنكر على قومه ظنهم السيء، وعدم يقينهم بوعد الله، فقال: {كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ} [الشعراء: ٦٢]، فتكررت الإجابة وتجددت الهداية، لكنها في هذه المرَّة أعجب؛ ففي رحلة مدين كانت الهداية لطريقٍ على الأرض يسلكه الناس، أما هنا فهو طريق لم يسلكه إنسان ولم تطؤه قدم، إنه طريق في البحر! سلكه موسى

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٩٦٠/٩.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٢٦/٦، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٦١٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ١٩٩٤/٤ (ح ٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم.

(٤) شرح رياض الصالحين للعثيمين ١٢٥/٢.

عليه السلام وقومه فنجوا، ودخله بعدهم فرعون وقومه فهلكوا، من طلب الهداية هُدي وكفي، ومن أعرض عنها ضل وهلك.

وكلما عظمت المهمة زادت الحاجة للهداية، ومثل ما كان لموسى عليه السلام قصص مع الهداية، كان لبقية الأنبياء عليهم السلام قصص مشابهة، وهداية الله لأنبيائه عليهم السلام هي سر نجاحهم ومصدر توفيقهم، ومنهم نبي الله إبراهيم عليه السلام الذي تكرر لَهَجُهُ بالهداية وتنويهه بها، فعندما أراد تعريف أبيه وقومه بالله قال في وصفه سبحانه: {ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ} [الشُّعَرَاء : ٧٨]، ولمَّا تبرأ من معبوداتهم استثنى المعبود الحق سبحانه وميَّزه بصفة الهداية فقال: {إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ} [الزُّخۡرُف : ٢٧]، وعندما هاجر قال: {إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهۡدِينِ} [الصَّافَّات : ٩٩]، أما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد أمره الله سبحانه أن يطلب الهداية فقال: {وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّى لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدًا} [الكَهۡف : ٢٤]، بل فرض عليه وعلى أمته الخاتمة للأمم أن يسألوا الهداية كل يوم، وأوجب عليهم أن يكرروا في كل ركعة من صلواتهم أعظم دعاء: {ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ} [الفَاتِحَة : ٦].

الدعاء الثالث: الافتقار إلى الله

{رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ} [القصص: ٢٤]

وصل موسى عليه السلام إلى مدين بعد سفر طويل وعناء شديد، وعند ذلك المورد للماء تولى السقاية للمرأتين، ثم اتجه إلى ذلك الظل، وتمتم بكلمات قليلة في حروفها، عظيمة في معانيها ونتائجها، يشكو فيها حاله إلى ربه، لم يطلب شيئا محددا، ولم يذكر حاجة بعينها، فهو محتاج لكل شيء، لذلك قال: {رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ} ، أي: إني مفتقر للخير الذي تسوقه إلي وتيسره لي، قال السعدي: "وهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان

المقال"[١]. لقد توسل موسى عليه السلام إلى ربه بضعف حاله، وأقر له بفقر نفسه وشدة حاجته، وكما عوده ربه؛ لا دعاء إلا ومعه إجابة، ولا ضيق إلا ويعقبه فرج، ولا شدة إلا ويردفها التيسير، فها هو الفرج يقترب؛ دعته إحداهما إلى والدها ليجزيه أجر ما سقى لهما، وكان المتوقع أن يكون الجزاء ضيافة عابرة، أو استراحة قصيرة، يعقبها شد الرحال؛ لكن الخير الذي ينتظره كان أكبر، لأنه خير من الكبير سبحانه، فهناك كان الزواج، والعمل، والاستقرار، والأمان، قال ابن عاشور: "وأحسن خير للغريب وجود مأوى له يَطعم فيه ويبيت، وزوجة يأنس إليها ويسكن"[٢].

والسر في عظمة هذا الدعاء هو ما فيه من افتقار إلى الله، فالعبد غني بافتقاره إلى ربه، فقير إن ظن استغناءه عنه سبحانه، فمتى وفق العبد إلى الافتقار إلى الله، والخضوع له، والتذلل بين يديه، وإظهار الفاقة والحاجة والمسكنة؛ فقد فُتح له الباب، وأُريد به الخير؛ لذا قال سهل بن عبد الله: "ليس بين العبد وبين ربه طريق أقرب إليه من الافتقار"[٣]. وقال ابن تيمية: "وإذا توجه الى الله بصدق الافتقار إليه، واستغاث به مخلصا له الدين، أجاب دعاءه، وأزال ضرره، وفتح له أبواب الرحمة، فمثل هذا قد ذاق من حقيقة التوكل والدعاء لله ما لم يذقه غيره"[٤]. وقال ابن القيم: "وما أُتي مَن أتي إلا من قِبل إضاعة الشكر، وإهمال الافتقار والدعاء، ولا ظفر مَن ظفر بمشيئة الله وعونه إلا بقيامه بالشكر، وصدق الافتقار والدعاء"[٥]. وقال في موضع آخر: "وحقيقة العبودية كمال الافتقار إليه

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٦١٤.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٣/٢٠.

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي ٢٧٢/٢.

(٤) الفتاوى لابن تيمية ٦٥١/١٠.

(٥) الفوائد لابن القيم ١٤٢/١.

من كل وجه، وهذا الافتقار هو عين الغنى به"[1]، والله هو الغني، والناس كلهم فقراء إليه، {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ} [فَاطِر: ١٥].

وكما تضرع موسى عليه السلام إلى الله بذكر فقره ووصف حاله، فكذلك فعل الأنبياء من قبل ومن بعد، فأيوب عليه السلام وصف حاله مع المرض فقال: {أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ} [الأَنبِيَاء: ٨٣]، ويعقوب عليه السلام شكى فقال: {إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ} [يُوسُف: ٨٦] وزكريا عليه السلام استجلب الخير بقوله: {رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا} [مَرْيَم: ٤]، فدعوا الله بذكر حالهم، وتضرعوا إليه بشدة حاجتهم، فاستجاب الله لهم جميعا، وأزال هموهم، وأنزل عليهم خيراته.

الدعاء الرابع: طلب شرح الصدر

{رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى} [طه: ٢٥]

هذا الدعاء وما بعده ورد في سورة طه، والذي يتضح من سياق الآيات أن موسى عليه السلام قالها في طريق عودته من مدين، بعد تكليفه بالرسالة، فاستعان بالله عز وجل على حمل الرسالة بأدعية؛ أولها قوله: {رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى} ، أي: وسّعه وأفسحه، لِأتحمل الأذى القولي والفعلي، ولا يتكدر قلبي بذلك، ولا يضيق صدري[2]، قال ابن كثير: "هذا سؤال من موسى عليه السلام، لربه عز وجل، أن يشرح له صدره فيما بعثه به، فإنه قد أمره بأمر عظيم، وخطب جسيم، بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك، وأجبرهم، وأشدهم كفرا،

---

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ٩٧/١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٥٠٤. وانظر: التفسير البسيط للواحدي ٣٨٧/١٤.

وأكثرهم جنودا، وأعمرهم ملكا، وأطغاهم، وأبلغهم تمردا، بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله، ولا يعلم لرعاياه إلها غيره"[١].

وفي سورة الشعراء: {قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢ وَيَضِيقُ صَدۡرِي} [الشُّعَرَاء : ١٢ - ١٣]، عَلم عليه السلام أن الصدر إذا ضاق لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم[٢]Pلأن صاحبه سيكون فظا غليظا في تعامله مع الناس، كما قال تعالى: {فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ} [آل عِمۡرَان : ١٥٩] فموسى عليه السلام أدرك أنَّ مِن أعظم ما يعين على أداء تكاليف الرسالة أن يكون صدره منشرحا، وهو على يقين بأنه سيلقى من فرعون وملئه صدودًا ومكرًا وأذًى، وهذه من أسباب ضيقة الصدر، لذا ابتهل إلى ربه أن يرزقه انشراحا في صدره، يتحمل معه ما سيلقاه من هؤلاء المجرمين، وانشراح الصدر من أعظم ما يعين على تحمل الدعوة والثبات في الملمات، لذا فقد امتن الله عز وجل على نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: {أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ} [الشَّرۡح : ١].

الدعاء الخامس: طلب تيسير الأمر

{وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي} [طه: ٢٦].

أعقب موسى عليه السلام دعاءه السابق بدعاء آخر مقترن به فقال: {وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي} ، أي: سَهِّل عليَّ كلَّ أموري، ويسر علي كل طريق أسلكه في سبيلك، وهون علي ما أمامي من الصعاب، وهذا أمر مهم لكل داعيةٍ للخير؛ فكيف إذا كان رسولا، فكيف إذا كان مرسلًا إلى فرعون؟ لقد أصبح موسى عليه السلام نبيا مكلفا بإبلاغ الرسالة إلى واحد من أعظم طغاة الأرض، ويصاحب ذلك مهمة إنقاذ

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٨٢/٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٥٠٤.

قومه بني إسرائيل وتخليصهم من العذاب والعبودية والقهر الذي يعيشونه منذ أمد، فموسى عليه السلام مقبل على أمور كبيرة وأيام صعبة، لكنه عليه السلام لديه اليقين التام أن الأمور كلها بقدرة الله وقوته، ولديه الإيمان الكامل بأن مَن كلَّفه بهذه المهام العظيمة سيكون معه مؤيدا ونصيرا، لذلك طلب من الله سبحانه أن ييسر أمره، وأن يهون عليه ما سيواجه.

وتيسير الأمر شامل لتفاصيل كثيرة وجامع لخيرات لا تعد، قال السعدي: "ومِن تيسير الأمر أن ييسر للداعي أن يأتي جميع الأمور من أبوابها، ويخاطب كل أحد بما يناسب له، ويدعوه بأقرب الطرق الموصلة إلى قبول قوله"[1].

ومن تعرض للصعاب فهو بحاجة لإعانة الله وتيسيره، وأقرب طريق إلى ذلك هو أن يتبرأ من حول نفسه وقوته، مهما كان مبلغ علمه، ومهما بذل من أسباب النجاح والقوة، فعليه أن يتذكر دائما أن لا سهل إلا ما سهله الله، لذا كان من دعاء رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: **(اللهم لا سَهْل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحَزْنَ[2] إذا شئت سهلا)**[3].

ولقد استجاب الله دعاء موسى عليه السلام، ويسر له جميع أموره، وذلل له كل ما لاقى من صعاب، بل أهوال، وانظر سيرته بعدُ، وكيف سهَّل الله له جميع أموره، فمِن ملاقاة فرعون وملئه ومحاجتهم، إلى مقارعة السحرة وهزيمتهم، إلى اليوم الذي تراءى فيه الجمعان وقال له أصحابه {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} [الشُّعَرَاء : ٦١] فقال:

---

(1) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٥٠٤

(2) الحَزْن: ما غَلُظَ من الأرض، وضده السَّهل. انظر: تهذيب اللغة للأزهري ٢١٢/٤، وفتح الباري لابن حجر ٥٧٤/١٠.

(3) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٤٣٣/٧ (ح ٦٧٣٧)، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص٣١١ (ح ٣٥١)، والضياء في الاحاديث المختارة ٦٣/٥ (ح ١٦٨٥)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٩٠٢/٦ (ح ٢٨٨٦).

{كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ} [الشُّعَرَاء : ٦٢] معي "ربي" الذي دعوته من أول يوم من إرسالي، وناديته: {وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي} فيسره، فكانت حياة موسى عليه السلام نماذج متظافرة على تيسير الأمر وشرح الصدر.

الدعاء السادس: طلب إزالة العوائق

{وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي} [طه: ٢٧-٢٨].

مما يدل على استعداد موسى عليه السلام للبدء في مهمته العظيمة؛ أنه استحضر العوائق التي قد تمنعه من أداء مهمته، وطلب من الله إزالتها، ومِن ذلك العُقدة التي في لسانه، والعُقدة: الرَّبطة في الحبل والخيط[١]، وأراد بالعقدة هاهنا علةً كانت في لسانه تمنعه من الانطلاق في الكلام، أو تسبب صعوبة الفهم منه[٢]، قال ابن حجر: "العقدة في اللسان ما لم ينطق بحرف، أو كانت فيه مسكة؛ من تمتمة، أو فأفأة"[٣]. وفي سورة الشعراء: {قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ١٢ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي} [الشُّعَرَاء : ١٢ - ١٣]، أي: أخشى للعقدة أن لا ينطلق لساني بالبلاغ والمحاجة وأداء الرسالة.

دعا موسى عليه السلام ربه سبحانه أن يحلل مِن هذه العقدة، ثم علل هذا الطلب بقوله: {يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي} ، أي: سؤالي هذا إنما هو ليفقهوا كلامي ويفهموه،

---

(١) انظر: التفسير البسيط للواحدي ٣٨٨/١٤، والمفردات في غريب القرآن ص٣٤١.

(٢) انظر: البسيط للواحدي ٣٨٨/١٤، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٥٠٤.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٤٢٥/٦. أما سبب هذه العقدة فلم تذكره الآيات ولا الأحاديث الصحيحة، وما ذُكر مِن أنَّ سبب ذلك أن فرعون عرض على موسى وهو طفل جمرة وتمرة فتناول الجمرة؛ فهذه قصة انتقدها أهل العلم سندا ومتنا، قال العثيمين في تفسير سورة القصص ص١٦٤: "هذه القصة من الإسرائيليات، وهذا غير ممكن؛ لأنه إذا أراد الجمرة وأخذها، لما استطاع أن يضعها في يده، ولكن ما يعاني منه موسى هو أمر خَلْقي، خلق الله بعض الناس عليه، ولهذا طلب موسى من الله أن يحل هذه العقدة".

فيحصل المقصود التام من مخاطبتي لفرعون وقومه، وما سيكون بيني وبينهم من مراجعة وجدال، فهو إذا ليس طلبا شخصيا، وإنما لأجل مصلحة هذه الدعوة التي سيبدأ بها، وهذا أقرب للإجابة، وأيضا هو دال على أمرين مهمين يتعلقان بالدعوة، وهما:

الأمر الأول: أن موسى عليه السلام مستعد لهذ التكليف، وسيبدأ به دون تأخر ولا توان، فسؤاله هذا ليس ترددا منه، ولا توقفًا في تلقي الأمر، بل طلبا لما يكون معونة على امتثال ذلك الأمر، وهذا مطلوب في الداعية إلى الله، ودليل على اقتناعه الكامل بهذه المهمة، وهذا سيكون سببا رئيسا لانطلاقه في دعوته، والصبر على ما يلاقيه فيها، وثباته على ذلك مهما كلفه لأمر.

الأمر الثاني: أن موسى عليه السلام لديه معرفة كاملة بمن سيخاطبهم في هذه الدعوة، ومدرك إدراكا جيدا لطبيعة فرعون وعناده وجبروته، وهذا من عوامل نجاح الداعية إلى الله في مهمته، ولذلك صدر ذلك التوجيه الكريم من نبينا صلى الله عليه وسلم عندما أرسل معاذا رضي الله عنه إلى اليمن فقال له: **(إنك تقدُم على قوم مِن أهل الكتاب)**[1]، وذلك ليعرف من سيواجه ويستعد لهم بما يُنجح هذه الدعوة[2].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٦٨٥/٦ (ح ٦٩٣٧) كتاب التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى.

(2) انظر: فتح الباري لابن حجر ٣٥٨/٣.

الدعاء السابع: طلب المعين

{وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي} [طه: ٢٩-٣٠].

لمصلحة الدعوة أيضا دعا موسى عليه السلام بدعاء آخر قال فيه: {وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا} ، الوِزْر: الملجأ، والوِزْر: الثِّقل، وآزَرَهُ: ظاهَرَه وعاونه على أمره(١). فموسى عليه السلام سأل الله تعالى أن يجعل له في هذه الدعوة معينا يعاونه، ويؤازره في المهمة العظيمة التي كلف بها، ويساعده على من أرسل إليهم، وعلى ما يتوقع أن يعانيه من صدود ومكر واتهامات، ولعلم موسى عليه السلام بكرم الله سبحانه وعظيم عطائه؛ حدَّد طلبه أن يكون الوزير من أهله، فقال: {مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي} ، هارون الذي يعرفه جيدا، ويتوقع أن يكون خير معين له، لعلمه بأمانته، وإخلاصه لله ولأخيه، وعلمه بفصاحة لسانه.

وهذا إحسان عظيم من موسى عليه السلام لأخيه، وشفاعة لم يكن ولا يكون مثلها في الدنيا، لذا قال بعض السلف: "ما شفع أحد في أحد شفاعة في الدنيا أعظم من شفاعة موسى عليه السلام في هارون أن يكون نبيا"(٢).

وليكون الطلب أقرب للتحقيق فقد ذكر موسى عليه السلام أسباب هذا الطلب، وكثَّف هذه الأسباب حتى أبلغها سبعة؛ كلها تبين وجاهة طلبه، وتُقرب إجابة ربه سبحانه، وهي:

السبب الأول: قال: {ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي} [طه: ٣١]، أي: قوِّ به ظهري. يقال: آزرني فلان: إذا أعانني وشد ظهري. ومنه المئزر؛ لأنه يُشد على الظهر. والمعنى: أعني به(٣).

---

(١) انظر: العين للخليل ٣٨٢/٧، ومجمل اللغة لابن فارس ص٩٢٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٣٨/٥.

(٣) انظر: جامع البيان للطبري ٥٥/١٦، وتهذيب اللغة للأزهري ١٦٩/١٣.

السبب الثاني: {وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِى} [طه: ٣٢]، أي: اجعله شريكا لي في النبوة، واجمع بيني وبينه في أمري العظيم، وهو القيام بأعباء النبوة وتبليغ الرسالة[١]، قال ابن كثير: "أي: يؤنسني فيما أمرتني به من هذا المقام العظيم"[٢]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "نُبئ هارون ساعتئذ حين نبئ موسى"[٣].

السبب الثالث: فصاحة هارون عليه السلام: {هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا} [القَصَص : ٣٤]، فعلم عليه السلام أن الفصاحة أبلغ في البيان[٤].

السبب الرابع: أن تظافر الأخبار يقوي الحق، لذا قال: {رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ} [القَصَص : ٣٤]، والردء: المعين والناصر، أي: اجعله معينا يصدقني، إذ به يقوى قولي، ويكون صدقا[٥]، قال الطبري: "لأن الاثنين إذا اجتمعا على خبر كانت النفس إلى تصديقهما أسكن منها إلى تصديق خبر الواحد"[٦]، ومنه قول الله تعالى عن كتابه الخاتم: {وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ} [الأَنْعَام : ٩٢]، أي: شاهد[٧].

السبب الخامس: ما يَأمل من نتيجة ذلك، وما يرجو من أثر جميل وغرض حسن من ورائه، وهو: {كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا} [طه: ٣٣-٣٤]، وذِكْرُ ذلك الغرض من آداب الدعاء الرفيعة، ومن أسباب الإجابة، وقد تقدم شَبهه في

---

(١) انظر: الكشف والبيان للثعلبي ٥٢٦/١٧، والتفسير البسيط للواحدي ٣٩١/١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٣٦/٦.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٢٤٢٢/٧.

(٤) أحكام القرآن للبيهقي ص٣٦٩.

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج ١٤٤/٤، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٦١٥، وتفسير سورة القصص للعثيمين ص١٦٥.

(٦) جامع البيان للطبري ٢٤٩/١٨.

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٤٨٢/٨.

الدعاء السابق، وسيأتي مزيد بيان لذلك في فقرة مستقلة في المبحث التالي إن شاء الله تعالى.

السبب السادس: خوفه على الدعوة، وحرصه على نجاحها، وذلك في قوله: {إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ} [القَصَص : ٣٤]، أي: فيما أقول، وفيما أرسلتني به، قال ابن عاشور: "وإنما خاف أن يكذبوه؛ لعلمه بأنَّ مثل هذه الرسالة لا يتلقاها المرسل إليهم إلا بالتكذيب، وجَعَلَ نفسه خائفا من التكذيب؛ لأنه لمَّا خُلعت عليه الرسالة عن[١] الله، وَقَرَ في صدره الحرص على نجاح رسالته، فكان تكذيبه فيها مخوفا منه"[٢].

السبب السابع: حاجته لأخيه، وحاجته هو وأخوه لإعانة الله، يذكر ابن عاشور مأخذ هذا السبب ويشرحه فيقول: "وجملة {إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا} [طه : ٣٥] تعليلٌ لسؤاله شرح صدره وما بعده، أي لأنك تعلم حالي وحال أخي، وأني ما دعوتك بما دعوت إلا لأننا محتاجان لذلك، وفيه تفويض إلى الله تعالى بأنه أعلم بما فيه صلاحهم، وأنه ما سأل سؤاله إلا بحسب ما بلغ إليه علمه"[٣].

الدعاء الثامن: طلب الأمن من المخاوف

{رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ} [القَصَص : ٣٣].

بدأت هذه الرحلة بالفرار من فرعون وقومه، وانتهت بالعودة إليهم مرة ثانية، لذا كان هذا الدعاء كالدعاء الأول؛ كلاهما متعلق بفرعون وقومه الظالمين، فر موسى عليه السلام منهم لمَّا خافهم، والآن يعود إليهم ليدعوهم، فتذكر قصة القتل وخشي عاقبتها، قال ابن عاشور: "والمعنى: فأخاف أن يذكروا قتلي القبطي فيقتلوني، فهذا كالاعتذار، وهو يعلم أن رسالة الله لا يتخلص منها بعذر، ولكنه

---

(١) هكذا في المطبوع.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٥/١٩.

(٣) المصدر السابق ٢١٤/١٦.

أراد أن يكون في أمن إلهي من أعدائه، فهذا تعريض بالدعاء، ومقدمة لطلب تأييده بهارون أخيه"[1]، فدعا موسى عليه السلام ربه أن يؤمنه مما يخاف، فكان الأمان والاطمئنان: {سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ} [القصص : ٣٥] .

(1) المصدر السابق ٢٠/١١٥.

المبحث الثالث:

معالم من أدعية موسى عليه السلام في رحلته إلى مدين

بعد أن تحدثنا عن هذه الأدعية المباركة لكليم الرحمن عليه السلام، التي دعا بها في تلك الرحلة المباركة، وألقينا الضوء عليها بما يناسب المقام، بقي لنا الأهم؛ وهو استخراج ما في هذه الأدعية من فوائد وهدايات ودروس، فهذه الأدعية الثمانية قد حوت من العلم والهدى شيئا كثيرا، وبعد تأملٍ فيها وجدت أن هذه الهدايات والفوائد تجمعها ثلاثة معالم: معلم يتعلق **بالله تعالى** وكرمه، وثان **بموسى عليه السلام** وصفاته، وثالث **بالدعاء** وآدابه. وتفصيلها في النحو الآتي:

المَعْلم الأول: كرم الله تعالى، وقربه من أوليائه.

الناظر في أدعية موسى عليه السلام الثمانية يتبادر إلى ذهنه السؤال الآتي: ماذا حصل بعد تلك الأدعية؟ وأيها استجيب؟

والجواب عن ذلك جاء في جملة وحرف، جملةٌ أخبرت بتحقق المرغوبات، وحرفٌ أفاد بالأمن من المرهوبات، أما الجملة فهي قوله تعالى: {قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ} [طه: ٣٦] ، وأما الحرف فهو "كلا"، الوارد في قول الله تعالى: {وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ} [الشُّعَرَاء: ١٢ - ١٥]، فكان هذا الحرف أمان لا أقوى منه.

لقد استجاب الله عز وجل كل تلك الأدعية الثمانية، وأعطى موسى عليه السلام جميع مطالبه، وهذا يدل على عظيم عطاء الله سبحانه، وعلى قربه لأوليائه، وهذا الدرس هو أول درس نستفيده من هذه الأدعية المباركة، وهو أجَلُّ درس يقوي رغبة المؤمن بخيرات الله وعطاءاته.

بل فوق هذه الاستجابات العظيمة، والمنح الربانية المدهشة، زاد الكريم سبحانه كليمه موسى عليه السلام وبشره بخمس:

البشارة الأولى: أنَّ الله سبحانه سيؤيده بالآيات والمعجزات: {فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ}.

البشارة الثانية: أنَّ الله سبحانه سيكون معه: {إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ}.

البشارة الثالثة: أنَّ الله تعالى سيجعل له ولأخيه سلطانا: {وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا} [القَصَص : ٣٥]، قال السعدي: "أي: تسلُّطا، وتمكنا من الدعوة بالحجة، والهيبة الإلهية من عدوهما لهما"(١). وقال ابن عاشور: "والسلطان هنا مصدر بمعنى التسلط على القلوب والنفوس، أي مهابة في قلوب الأعداء، ورعبا منكما، كما ألقى على موسى محبةً حين التقطه آل فرعون"(٢).

البشارة الرابعة: أنَّ الأعداء لن يصلوا إليهما: {فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ} [القَصَص: ٣٥]، أي: لا سبيل لهم إلى الوصول إلى أذاكما، بسبب آياتنا وما دلت عليه من الحق، وما أزعجت به مَن باشرها ونظر إليها، فهي التي اندفع بها عنكم كيد عدوكم، وصارت لكم أبلغ من الجنود(٣).

البشارة الخامسة: أنَّ الغلبة والعاقبة لهما ولأتباعهما: {أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ} [القَصَص : ٣٥]، قال السعدي: "وهذا وعدٌ لموسى في ذلك الوقت، وهو وحده فريد، وقد رجع إلى بلده، بعد ما كان شريدا، فلم تزل الأحوال تتطور والأمور تنتقل، حتى أنجز الله له موعوده، ومكنه من العباد والبلاد، وصار له ولأتباعه الغلبة والظهور"(٤).

المعلم الثاني:مكانة موسى عليه السلام، وصفاته المؤهلة لهذه المكانة

في هذه الأدعية تتجلى المكانة الرفيعة لموسى عليه السلام عند الله تعالى، وأنه قد بلغ منزلةً عالية، حيث ما مِن دعوة إلا استجاب الله له فيها، وما من

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٦١٦.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١١٧/٢٠.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٦١٦.

(٤) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٦١٦. وقد تفرَّد السعدي باستنباط كثير من الفوائد والهدايات من الآيات المتعلقة برحلة موسى عليه السلام إلى مدين.

طريق سلكه حسيا كان ولا معنويا إلا ووجد فيه التوفيق والإعانة والرعاية من الله تعالى، وهذا هو خير تفسير لقول الله تعالى عنه: {وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا} [الأَحْزَاب: ٦٩]، والوَجِيْه: ذو الوجاهة والمنزلة العالية(١).

ومن خلال أدعية موسى عليه السلام في هذه الرحلة يتضح لنا ست صفات جليلة تحلى بها موسى عليه السلام، أهلته لهذه المكانة البشرية الرفيعة التي لم يبلغها بشر خلا نبينا صلى الله عليه وسلم، وهذه الصفات هي:

الصفة الأولى: قربه من الله، ودوام اللجوء إليه.

منذ بداية الرحلة وحتى نهايتها وموسى عليه السلام ملازم للدعاء، في أول الرحلة، وفي أثنائها، وعند ماء مدين، ثم في نهايتها بعد تكليفه بالنبوة، لجوءٌ إلى الله دائم، واعتصام به مستمر، وتبرؤ من كل حول وقوة، دلَّ على ذلك أدعيته الملازمة له في جميع أحواله وأموره، فهذه الأدعية تنبئ أن هذا الداعي لا يعترف لنفسه بأي قوة، ولا يرى لنفسه أي حول، فكل حول له فبالله، وكل قوة إنما يستمدها من قوة الله تعالى.

الصفة الثانية: فطنته عليه السلام، وكمال معرفته بالله تعالى.

هذه الأدعية المباركة، واختيارها، وترتيبها، كل ذلك يدل على كمال معرفة موسى عليه السلام بالله تعالى، وعلى شدة فطنته وذكائه، يوضِّح ذلك السعدي فيقول: "وهذا السؤال من موسى عليه السلام يدل على كمال معرفته بالله، وكمال فطنته ومعرفته للأمور، وذلك أن الداعي إلى الله، يحتاج إلى سعة صدر، وحلم تام على ما يصيبه من الأذى، ولسان فصيح يتمكن من التعبير به عمَّا يريده ويقصده، ويحتاج مع ذلك أيضا أن يتيسر له أمره؛ فيأتي البيوت من أبوابها، ويعامل الناس كلا بحسب حاله، وتمام ذلك أن يكون لمن

(١) انظر: جامع البيان للطبري ١٩/١٩٠، والتفسير البسيط للواحدي ١٨/٣٠٠.

هذه صفته أعوان ووزراء يساعدونه على مطلوبه، لأن الأصوات إذا كثرت لا بد أن تؤثر، فلذلك سأل عليه الصلاة والسلام هذه الأمور فأعطيها"[1].

الصفة الثالثة: تواضعه، وسمو أخلاقه.

هذه الصفة العزيزة تتضح من إقرار موسى عليه السلام لأخيه بالفضل في قوله تعالى: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا} [القَصَص : ٣٤]، فاعترف لأخية بتلك الصفة، مع مكانة موسى عليه السلام وتأييد الله له، وما حباه الله من فضائل وصفات، وهذه منزلة لا يصلها إلا ذو نفس سامية وخلق رفيع؛ لأن النفس الإنسانية يصعب عليها تفضيل غيرها عليها، خاصة من كان أقل مكانة منه.

الصفة الرابعة: إحسانه بذي القربى، وحُسن عشرته.

نأخذ هذا من اختيار موسى عليه السلام لأخيه هارون أن يكون نبيا، فهذا مِن أعظم البر والإحسان، ونأخذه من أمر آخر: وهو أنه ما سأل ذلك لأخيه إلا وَصِلَتُهُ به حسنة، وليس بينهما إلا ما ينبغي بين الأقارب من مودة ورحمة، قال الرازي: "وإنما سأل ذلك لوجهين؛ أحدهما: أن التعاون على الدين منقبة عظيمة، فأراد أن لا تحصل هذه الدرجة إلا لأهله، أو لأن كل واحد منهما كان في غاية المحبة لصاحبه والموافقة له"[2].

الصفة الخامسة: إدراكه للمكانة العظيمة للذِكر.

سأل موسى عليه السلام ربه سبحانه أن يجعل أخاه معه يتساعدان ويتعاونان على الخير والطاعة، وخَص من أنواع الطاعات التسبيح والذكر، فقال: {كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا} [طه: ٣٣-٣٤]، وهذا يبين إدراكه للمكانة الرفيعة لعبادة الذكر، ومعرفته بمحبة الله لها، ولذا ذكرها موسى عليه السلام في

---

(1) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٥٠٤.

(2) مفاتيح الغيب للرازي ٢٢/٤٥.

دعائه، وجعلها الغرض الجميل الذي يرجو بذكره إجابة الدعاء، قال السعدي: "عَلِمَ أنَّ مدار العبادات كلها والدين على ذكر الله"[١]، لذا نجد أنَّ الله سبحانه بعد أن أجاب أدعية موسى عليه السلام، وأرسله وأخاه، وبشرهما ووعدهما؛ أوصاهما بالذكر فقال: {ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي} [طه : ٤٢]، فهذا تأكيد على أهمية الذكر، وأنَّ فيه معونة على تيسير الأمور، وتخفيف المصاعب والمشاق، وهذا ما أدركه موسى عليه السلام بلا ريب.

الصفة السادسة: حرصه البالغ على الدعوة إلى الله:

وهذا واضح جلي، يؤكده كل ما سبق في هذا البحث، ويمكن إيجاز هذا الاهتمام بما يأتي:

أ– سأل الله عز وجل أن يشرح صدره وييسر أمره، وهذا ليكمل استعداده الشخصي لهذه الدعوة.

ب– طلب حلَّ عقدةٍ من لسانه، وهذا إزالة للعوائق عن طريق الدعوة.

جـ– طلب أن يكون هارون معه نبيا، وهذا تقوية للدعوة وبذل لأسباب نجاحها.

د– صرَّح بخوفه على هذه الدعوة فقال: {رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ} [الشُّعَرَاء: ١٢]، وهذا دليل على اهتمامه بهذه الدعوة وولائه لها وحرصه على نجاحها.

المعلم الثالث: آداب الدعاء، وأسباب إجابته

خير الأدعية وأنفعها ما جاء في كتاب الله عز وجل على ألسنة أنبيائه الكرام عليهم السلام، ومن أراد معرفة آداب الدعاء وأسباب إجابته فليتأمل تلك الأدعية، ومنها أدعية موسى عليه السلام موضوع هذا البحث، فقد اشتملت على آداب جليلة للدعاء، وأسبابٍ إذا فطن لها الداعي كانت سببا في الإجابة، وأقرب إلى

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٥٠٤.

تحقيق المقصود، وقد تأملت هذه الأدعية المباركة فوجدتها تحوي خمس آداب من آداب الدعاء وأسباب إجابته، وهي:

١- أن يدعو بلفظ الربوبية:

مَن تأمل أدعية موسى عليه السلام وجدها تبدأ بلفظ الربوبية "رَبِّ"، وهذه طريقة الأنبياء في أدعيتهم، أنهم يأتون بلفظ الربوبية، ولعل ذلك استحضاراً لما في وصف الرب من المعاني الجليلة، فمن معاني "الرب" التدبير والإصلاح[١]، وفي المفردات للراغب: "الرب المتكفّل بمصلحة الموجودات"[٢]، ولمَّا سُئل الإمام مالك عن الرجل يدعو يقول "يا سيدي؟"، قال: "يعجبني أن يدعو بدعاء الأنبياء؛ ربنا، ربنا"[٣]. حتى أن بعض أهل العلم قال: "إن هذا الاسم هو اسم الله الأعظم، لكثرة دعوة الداعين به، وتأمل ذلك في القرآن، كما في آخر آل عمران، وسورة إبراهيم، وغيرهما، ولِمَا يُشعر به هذا الوصف من الصلة بين الرب والمربوب، مع ما يتضمنه من العطف، والرحمة، والافتقار في كل حال"[٤].

٢- أن يُظهر الفاقة:

يتضح ذلك في الدعاء الثالث من أدعية موسى عليه السلام: {رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} ، ففي هذا الدعاء تَوَسَّل موسى عليه السلام إلى ربه سبحانه بفقرة وضعفه، لم يذكر طلبا معينا، وإنما اقتصر على ذكر اضطراره وشدة فاقته، وهذا موجب لرحمة الله ولطفه، فالعبد كلما بيَّن ضعفه واضطراره بين يدي

---

(١) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري ٤٦٧/١، والمخصص لابن سيده ٢٢٧/٥.

(٢) المفردات للراغب ص٣٣٦.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣٢٠/٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣٧/١.

ربه كان من الإجابة أقرب وبرحمته أحرى، وقد تقدم تفصيل هذا في التعليق على ذلك الدعاء في المبحث الثاني.

٣-أن يُضَمِّن دعاءه غرضًا جميلا وقصدًا حسنا:

لمَّا أرشدنا نبينا صلى الله عليه وسلم لكيفية الدعاء للمريض نبهنا إلى أدب عظيم من آداب الدعاء وسبب من أسباب الإجابة، فقال: **(إذا جاء الرجل يعود مريضا، فليقل: اللهم اشف عبدك يَنْكأ لك عدوا، أو يمشي لك إلى صلاة)**[١]. وهذا ما فطن له موسى عليه السلام وكرَّره في عدد من أدعيته، وهو دليل على علمه وكمال معرفته، ومن أوضح صور ذلك أنه لما دعا الله أن يجعل هارون عليه السلام معه نبيا ذكر أسباب ذلك الطلب ومبرراته، ومن أبرز ما ذكر ذلك الغرض الجميل والمقصد الحسن: {كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا} [طه: ٣٣-٣٤]، وذِكر ذلك الغرض من آداب الدعاء الرفيعة، ومن أسباب إجابة الدعاء، فيحسن بالداعي أن يتفطن لهذا الأدب الجم؛ فإذا سأل مالا فليقرن ذلك بقوله مثلا: "واجعله عونا على طاعتك"، وإذا سأل ولدا قال: "تنفع به دينك"، وهكذا ينوي خيرا، ويستحضر غرضا حسنا جميلا، فهذا أدعى للإجابة، وأيضا هو أضمن للنفع والبركة؛ فكم ممن سأل أمرا من أمور الدنيا فلمَّا أوتيها كانت وبالا عليه[٢].

٤-أن يُعظِّم الرَّغبة:

مما أرشدنا إليه نبينا صلى الله عليه وسلم في الدعاء أن نعظِّم الرغبة في المسألة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت. ولكن ليعزم المسألة، وليُعْظِم الرَّغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/ ١٧٣ (ح ٦٦٠٠)، وأبو داود في السنن ٣/ ١٨٧ (ح ٣١٠٧) كتاب الجنائز، باب الدعاء للمريض، والحاكم في المستدرك ١/ ٤٩٥ (ح ١٢٧٣) وقال: "صحيح على شرط مسلم" ووافقه الذهبي، وصححه الألباني وأحمد شاكر.

(٢) انظر: الدعاء للحمد ص٤٣.

أعطاه)[1]، وفي كتاب الدعوات الكبير عقد البيهقي بابا أسماه "باب استحباب تعظيم الرغبة"[2]، ومن تأمل أدعية موسى عليه السلام فسيجد تعظيم الرغبة ظاهرا فيها، ومن أوضح ذلك دعاؤه بأن يصبح هارون نبيًّا، وهذا فيه همة عالية وثقة عظيمة بكرم الله وجوده وعطائه، فهذا التعظيم للرغبة لم يجعل هارون عليه السلام صاحبا مُعِينًا وحسب، بل نبيًّا يوحى إليه، وأيُّ شرف أرفع من هذا.

٥- أن يُلِحَّ في الدعاء:

الدعاء عبادة عظيمة، يحبها الله ويدعو إليها عباده فيقول تعالى: {ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ} [غَافِر: ٦٠]، ويحثهم عليها فيقول سبحانه: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ} [البَقَرَة: ١٨٦]، والإلحاح على الله في الدعاء محبوب إلى الله عز وجل، ومن أسباب الاستجابة، ومن تأمل في أدعية موسى عليه السلام وجد فيها إلحاحا على الله، وذلك في قوله: {رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي} ، وذلك بزيادة "لي"، فالمعنى يستقيم ويتضح بدونها، فزيادتها هنا إطناب في الدعاء، وهذا نوع من الإلحاح والتأكيد، قال ابن عاشور: "قوله (صدري) و(أمري) واضح أن الشرح والتيسير متعلقان به، فكان قوله (لي) فيهما زيادة بيان، كقوله: {أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ} [الشَّرۡح: ١]، وهو هنا ضرب من الإلحاح في الدعاء لنفسه"[3].

وكذلك يتضح إلحاح موسى عليه السلام على ربه في دعوته لهارون عليه السلام أن يجعله له وزيرا، حيث ذكر سبعة أسباب تبين وجاهة طلبه وأهميته، وقد تقدم ذلك في المبحث السابق.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٦٣/٤ (ح: ٢٦٧٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت.

(٢) الدعوات الكبير للبيهقي ١/ ٤٩٧.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢١١/١٦.

فهذه خمسٌ من آداب الدعاء وأسباب إجابته، اتضحت لنا من خلال ثمانية أدعية لموسى عليه السلام، ومن تأمل بقية أدعيته عليه السلام وأدعية الأنبياء عموما عليهم السلام فسيجد أكثر من ذلك من الآداب والأسباب الجالبة للإجابة والمقربة لرحمة أرحم الراحمين سبحانه.

الخاتمة

بعد هذا التطواف الممتع مع النبي الكريم موسى عليه السلام في رحلته الجليلة إلى مدين، يمكن تلخيص أهم **نتائج البحث** فيما يأتي:

١- تحديد موقع "مَدْين" حسب كلام المؤرخين قديما وحديثا، وأنها تقع في الشمال الغربي لجزيرة العرب، وتعرف اليوم بـ"البَدْع".

٢- أن موسى عليه السلام دعا في هذه الرحلة بثمانية أدعية وهي: اثنان عند بدايتها، وواحد بعد وصوله مدين، وخمسة في طريق عودته.

٣- استنباط ثلاثة معالم رئيسة من أدعية موسى، أولها وأهمها: كرم الله تعالى وقربه لأوليائه.

٤- ثانيها: مكانة موسى عليه السلام عند الله تعالى، والصفات الست التي أهلته لهذه المكانة الرفيعة.

٥- ثالث هذه المعالم: خمس آداب للدعاء مستنبطة من أدعية موسى عليه السلام، وهي: الدعاء بلفظ الربوبية، وإظهار الفاقة، وذِكْرُ غرض جميل، وتعظيم الرغبة، والإلحاح في الدعاء.

أما أهم **التوصيات** فهي:

١- الوصية بدراسة بقية أدعية موسى عليه السلام واستخراج ما فيها من هدايات ومعالم.

٢- حث الباحثين على مزيد من العناية بقصص الأنبياء عليه الصلاة والسلام، واستخراج ما فيها من دروس وعبر، وتقريبها للناس.

والله أعلم وأحكم.

ثبت المصادر المراجع:

١- **آثار البلاد وأخبار العباد**، زكريا بن محمد **القزويني**، دار صادر، بيروت.

٢- **الأحاديث المختارة، ضياء الدين** المقدسي، تحقيق: عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، دار خضر، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٣- **أحكام القرآن**، أحمد بن الحسين **البيهقي**، تحقيق: أبو عاصم الشوامي، دار الذخائر، ط١، ١٤٣٩هـ.

٤- **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن محمد **ابن عاشور**، الدار التونسية، ١٩٨٤هـ.

٥- **التفسير البسيط**، علي بن أحمد **الواحدي**، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ط١، ١٤٣٠هـ.

٦- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر **ابن كثير**، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٧- **تفسير القرآن العظيم**، عبدالرحمن بن محمد **ابن أبي حاتم** الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٣، ١٤١٩هـ.

٨- **تفسير سورة القصص**، محمد بن صالح **العثيمين**، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، السعودية، ط١، ١٤٣٦هـ.

٩- **تفسير سورة النمل**، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، السعودية، ط١، ١٤٣٦هـ.

١٠- **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد **الأزهري**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط١، ٢٠٠١م.

١١- **تيسير الكريم الرحمن** في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر **السعدي**، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٢- **جامع البيان** عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير **الطبري**، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٣- **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد **القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

١٤- **حلية الأولياء** وطبقات الأصفياء، **أبو نعيم** أحمد بن عبدالله، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ.

١٥- **الدعاء**، محمد بن إبراهيم **الحمد**، دار ابن خزيمة، ط١، ١٤١٨هـ.

١٦- **الدعوات الكبير**، الحسين بن علي **البيهقي**، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١. ٢٠٠٩.

١٧- **الزاهر في معاني كلمات الناس**، محمد بن القاسم **ابن الأنباري**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

١٨- **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، محمد ناصر الدين **الألباني**، مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٦هـ.

١٩- **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

٢٠- **السيرة النبوية**، عبد الملك **بن هشام**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرَين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ.

٢١- **شرح رياض الصالحين**، محمد بن صالح **العثيمين** دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٢٢- **صحيح ابن حبان**، محمد **بن حبان** البُستي، تحقيق: محمد علي سونمز، دار ابن حزم – بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ.

٢٣- **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط٥، ١٤١٤هـ.

٢٤- **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ.

٢٥- **صفة الصفوة**، عبدالرحمن بن علي **ابن الجوزي**، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٦- **العين**، الخليل بن أحمد **الفراهيدي**، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٧- **غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية**، بريك **العمري**، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة، ط١، ١٤٢٤هـ.

٢٨- **فتح الباري**، أحمد بن علي **بن حجر**، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، ط١، ١٣٨٠هـ.

٢٩- **الكشف والبيان** عن تفسير القرآن، أحمد بن إبراهيم **الثعلبي**، تحقيق: خالد العنزي وآخرين. دار التفسير، جدة، ط١، ١٤٣٦هـ.

٣٠- **مجمل اللغة**، أحمد **بن فارس** القزويني، تحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٣١- **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبدالحليم **ابن تيمية**، جمع: عبدالرحمن ابن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ١٤١٦هـ.

٣٢- **المحرر الوجيز**، عبدالحق بن غالب ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٣- **المخصص**، علي بن إسماعيل **ابن سيده**، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.

٣٤- **المستدرك على الصحيحين**، محمد بن عبد الله، **الحاكم**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٣٥- **مسند الإمام أحمد**، الإمام أحمد ابن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.

٣٦- **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**، محمد بن محمد حسن **شُرَّاب**، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٣٧- **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري **الزجاج**، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٨- **معجم البلدان**، **ياقوت** بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

٣٩- **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، عاتق بن غيث **البلادي**، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٢هـ.

٤٠- **مفاتيح الغيب**، محمد بن عمر **الرازي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٤١- **المفردات في غريب القرآن**، الحسين بن محمد **الراغب** الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.